سمح، في مطلع السبعينات، بهجرة سرية للالاف من اليهود السوفيات الى اسرائيل (وليس الى اميركا، مثلاً)، الذين كانوا يشحنون اليها من طريق فيينا، وذلك لكي يضمن سكوت الكونغرس الاميركي، الذي اشترط ذلك، على صفقات القمح الاميركية ومنح الاتحاد السوفياتي مركز الدولة الافضل رعاية في التجارة مع الولايات المتحدة.

وفي مقابل هذا الضعف والتفكك الذي يسيطر على مواقف العرب والفلسطينيين وحلفائهم، نجد موقف الاعداء الاسرائيليين ـ الاميركيين من المؤتمر اياه قوياً ومتماسكاً. فالولايات المتحدة، أساساً، لا تؤيد ذلك المؤتمر كثيراً وغير متحمسة له، بل انها تفضل «المفاوضات المباشرة»، التي تمكنها من الاستمرار في الاستفراد بالمنطقة، والاحتفاظ بنفوذها فيها. واسرائيل، من هذه الناحية، تكاد «تمسك» بالسياسة الاميركية وتديرها على هواها. بل ان الاميركيين، في سبيل راحة البال، يبدو انهم متشددون اكثر من الاسرائيليين ولا يوافقون الا على ما يحظى بـ «الاجماع» في الكيان الصهيوني، الذي لا يحصل، عادة، الا حول المواقف المتطرفة. وبالتالي، يبدو حديث المستيسرين عن «الحل الاميركي» مجرد فزّاعة. اذ ليست هنالك حلول اميركية، بل مخططات لـ «حل» رقبة الحركة الوطنية العربية، والفلسطينية.

وعلى خلفية هذه المواقف والمعطيات، يبدو الاندفاع الفلسطيني نحو المؤتمر الدولي بحماس اتجاهاً غير محمود العواقب تماماً. فلا يكفي ان يتم وضع مخطط تحرك سياسي يبدو لامعاً، لكي يكفل له ذلك، بحد ذاته، النجاح. اذ لكي يتوفر مثل هذا النجاح، لا بد من عوامل اخرى تدعمه، لعل ابرزها «وأعدّوا لهم...»، وهو ما لم تنفذه المقاومة حتى الآن على الوجه الاحسن، مع ان الساعة تجاوزت الحادية عشرة؛ على الرغم من الدعوات المتكررة لذلك، والتي يؤمل ان تكون هذه المرة ـ واخيراً ـ جدية.

اي كفاح مسلح ؟

ان المجلس الوطني الفلسطيني، في دورته الثامنة عشرة، التوحيدية، لم يكتف، على اي حال، بمتعة «الوحدة الوطنية»، على الرغم من ان «النعمة» لم تشمل كافة الابوات/ الرفاق/ الاخوة، فبقي بعضهم خارج الاطار. كما انه لم يُضِع كامل وقته في التغني بمحاسن المؤتمر الدولي، بل اتخذ، ايضاً، قراراً آخر دعا، بموجبه، الى «مواصلة النضال باشكاله كافة، كفاحاً مسلحاً وجماهيرياً وسياسياً، لتحقيق اهدافنا الوطنية وتحرير الاراضي الفلسطينية والعربية».

ويبدو لنا ان هذا هو القرار الاكثر صحة الذي اتخذه المؤتمر؛ وان كان يُخشى ان يكون، هو أيضاً، بمثابة كلام حق يراد به باطل او، بصورة اكثر دقة، كلام حق ينفذ بطريقة باطلة.

ان الاشارة الى «الكفاح المسلح»، باعتباره احد اشكال النضال الفلسطيني، تختلف، بالطبع، عن «الحكمة» المعروفة المتضمنة في الوثيقة المسماة الميثاق الوطني الفلسطيني، والتي تنص (المادة ٩) على «ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً». وبالتالي يمكن اعتبار ذلك القرار خطوة أخرى نحن العقلانية و «النضوج» المقاومي، يؤمل ان لا ينجم عنهما اي ضرر.

غير انه يبدو ان هذه العقلانية ذهبت بعيداً، وبات من الضروري لجمها، اذ يُخشى ان يكون ذلك، في نهاية الامر، مبرراً لاستبدال الكفاح المسلح، الحقيقي، بالعمل «السياسي» و «الجماهيري». ولو خُيّرنا بين النصوص، لأخترنا، بدلاً من الاثنين المذكورين، ذلك الذي يرد في «وثيقة طرابلس»، الداعي الى «مواصلة النضال بكافة اشكاله وفي مقدمتها الكفاح المسلح باعتباره الشكل الرئيسي لنضال شعبنا».